الدِّيانة الرُّومانيَّة

مقدمة:

إنَّ الواقع التَّاريخي القديم لحوض البحر المتوسط والحضارات المتصلة به والمُطلَّة عنه يُدلل على أنَّ العالم القديم قد نشأت فيه حضارات وازدهرت، وهي متصلة الاتساع، لا فواصل بينهما ولا عوائق تحول دون التَّأثير والتَّأثر بين هذه وتلك، وهي حضارات بلاد الرَّافدين (السُّومريَّة والبابليَّة والأشوريَّة)، وحضارات سوريا القديمة (الحيثيَّة والفينيقيَّة)، وحضارة "مصر القديمة" في وادي النِّيل، والحضارة اليونانيَّة، ومن بعدها الرُّومانيَّة. إنَّ المعنى الحضاري الواسع والكبير، لا نعرف له وجوداً في كلِّ حضارات حوض المتوسط، إلاَّ منذ الألف الثَّالثة قبل الميلاد: حيث اللغة الواضحة، والإدارة الحازمة، والنِّظام السِّياسي الثَّابت، والرُّموز الدِّينيَّة المتأثرة بالحياة الدِّينيَّة للحضارات الشَّرقيَّة القديمة، الرَّاسخة في قلوب الملايين من عُبَّادها في المجتمع الرُّوماني[1]. فما مجمل تاريخ هذا المجتمع، وما وقعه الدِّيني؟

أوَّلاً– مجمل تاريخ الرُّومان القديم:

أصل الرُّومانيين قبائل هاجرت من شمال "بحر قزوين" بعضها هاجر إلى سهول "أوروبا الوسطى" وأغار بعضها على شبه "جزيرة البلقان" – ومنها كانت البداية لليونانيين[2] – وبعضها إلى شبه "جزيرة إيطاليا" ومن تلك القبائل كانت قبيلة الإيطاليين التي استقرت في الأجزاء الوسطى والجنوبيَّة من شبه الجزيرة وفي "جزيرة صقليَّة"[3].

وفي "إيطاليا" كان هناك ثلاثة شعوب أخرى من غير الإيطاليين هم:

١)– الأترسكيون: وهم شعب لا يُعرف لهم منبت. ويُرجح المؤرخون أنَّهم كانوا يستوطنون "آسيا الصُّغرى الغربيَّة" ثمَّ هاجروا إلى "إيطاليا" عام 1000 ق.م واستولوا على ساحل إيطاليا الغربي[4].

٢)– القرطاجيون: هم من أصل فنيقي استوطنوا "صقليَّة" في الوقت الذي خرجوا فيه بتجارتهم إلى البحر المتوسط الغربي وبلغت تجارتهم أوجَّ نشاطها وذلك في عام 1000ق.م[5].

٣)– اليونانيون: وكانت لهم مستعمرات على سواحل "إيطاليا الجنوبيَّة"، وفي "صقليَّة"[6].

ولقد قسَّم المؤرخون تاريخ الرُّومان القديم إلى ثلاث عهود هي:

١)– عهد الملوك (753ق.م إلى غاية 500ق.ك).

---

[1] – محمود إبراهيم السَّعدني: **تاريخ وحضارة الرُّومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأوَّل الميلادي**، **ط.1**، الدَّار الدُّوليَّة للاستثمارات الثَّقافيَّة، القاهرة، 2007م، ص.11 – 12.

[2] – هذا يعني أنَّ اليونان والرُّومان من أصل واحد وهو (الشُّعوب الهندو أوروبيَّة)، وهي أصل سكان أوروبا اليوم. **ينظر:** جيمس هنري برستد: **العصور القديمة**، تر: داود قربان، **ط.1**، مؤسسة عز الدِّين، بيروت، 1983م، ص.187 وما بعدها.

[3] – ج. إدجار و مُحَمَّد شفيق غربال، **التَّاريخ القديم**، المرجع السَّابق، ص.118.

[4] – جيمس هنري برستد: المرجع السَّابق، ص.483.

[5] – المرجع نفسه، ص.483 – 486.

[6] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.175.

٢)– عهد الجمهوريَّة (ويمتد من سنة 500ق.م إلى غاية 270ق.م).

٣)– عهد الإمبراطوريَّة (ويمتد من سنة 270ق.م إلى غاية سقوط الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة سنة 476م). هذه الإمبراطوريَّة العالميَّة الواسعة كان كلّ التُّراث الحضاري للعالم القديم – سواء كان التُّراث اليوناني أو الشَّرقي أو السَّامي أو الغربي – قد اندمج ثمَّ انتشر[1].

وقد تعرَّضت الإمبراطوريَّة لسنوات من التَّدهور والسُّقوط وخاصة في القرون الثَّلاثة التي تلت حكم (ماركوس أوريليوس 161 – 180م) فقد كانت سنوات التَّدهور الاقتصادي، والغزو البربري. وما أنْ جاء عام 476م حتى كان الجزء الغربي من الإمبراطوريَّة قد انهار تماماً وعلى أنقاضه قامت المملكة البربريَّة التي انبثقت منها أمم أوروبا الحديثة[2].

ومع ذلك بقيت الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة الشَّرقيَّة ببزنطة التي كانت تحكم من القسطنطينيَّة قائمة ولم تسقط إلاَّ في سنة 1453م على يدي الأتراك العثمانيين[3].

ثانياً– الدِّيانة الرُّومانيَّة ومظاهرها:

عبد الرُّومان في أوَّل الأمر شأنهم ككل القبائل الآريَّة العيد من الآلهة، والأرواح، والأشباح، وفسَّروا وقوع الظَّواهر الطَّبيعيَّة بأنَّها من عمل هذه الأرواح، ثمَّ بعد ذلك نجدهم كُلَّما احتكوا بقومٍ أخذوا ديانتهم، فعندما اختلطوا باليونانيين أخذوا آلهتهم وأعطوها أسماء لاتينيَّة، وكذلك عندما استولوا على البلاد الشَّرقيَّة واختلطوا بأهلها أخذ الكثير منهم يتدين بالدِّيانات الشَّرقيَّة[4]. وعلى هذا يمكننا تقسيم الدِّيانة الرُّومانيَّة إلى قسمين:

1)– ديانة الرُّومان قبل اختلاطهم بالأمم المجاورة:

اعتقد الفرد الرُّوماني أنَّ العالم من حوله خاضع لقوى غير مرئيَّة، يظهر نشاطها في الظَّواهر الطَّبيعيَّة كالليل والنَّهار، والمواسم، والرِّياح، والطُّقوس، ونمو النَّبات، والحيوان ثمَّ تحلُّلها، ومجريات الحياة الإنسانيَّة من الميلاد حتى الممات، وكان الرُّوماني يطلق على هذه القوى اسم "الأرواح النَّشطة"[5]؛ والتي يظهر تأثيرها على النَّاس في حالات منها الحوادث غير الطَّبيعيَّة، وغير المألوفة، ككسوف الشَّمس، وظهور المذنبات، والصَّواعق، وانحدار مياه الأمطار التي تحمل معها الأحجار، أو التُّراب، أو الدِّماء، أو الهزات الأرضيَّة، ومنها أيضاً: ولادة المخلوقات العجيبة الحيوانيَّة ذات الرَّأسين أو الأرجل الخمسة، أو العجائب البشريَّة التي لم يخلُ منها عصر من العصور[6].

وقد عبد الرُّومانيون هذه الأرواح وعدُّوها في مصاف الآلهة التي تعبد، وكانت هذه الآلهة تظهر في صورة معنويَّة كالصِّحة والشَّباب أو الذَّاكرة أو الحظ أو الشَّرف أو الأمل أو الخوف أو الفضيلة أو العقاب أو الوفاق أو النَّصر، وكـان

---

[1] – دونالد ر.ددلي: **حضارة روما**، تر: جميل يواقيم الذَّهبي و فاروق فريد، مُرا: مُحمَّد صقر خفاجة، **ط.1**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1979م، ص.4.

[2] – المرجع نفسه، ص.5.

[3] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.176.

[4] – المرجع نفسه، ص.178.

[5] – دونالد ر.ددلي: **حضارة روما**، المرجع السَّابق، ص.24.

[6] – سليم عادل عبد الحقّ: **روما والشَّرق الرُّوماني (العهد الجمهوري حتى نهاية قيصر)**، **ط.1**، مطبوعات المديريَّة العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 1959م، ص.40 – 41.

منها أرواح الموتى، ومنها أرواح الغابات التي تسكن الأشجار مثل "سلقانس"[1].

كان الإنسان الرُّوماني «يعتقد أنَّه في حاجة إلى معونة هذه الآلهة – الأرواح – وحمايتها له في كلِّ مجريات حياته اليوميَّة، لذلك كان يعمل على إرضائها بتقديم الذَّبائح وإقامة الطُّقوس. التي الغرض منها – في نظر الرُّوماني — هو حثُّ الرُّوح على القيام بوظيفتها بطريقة مُرضية للعابد أيَّ أنَّ تدخل في مساومة معه، والحقيقة أنَّها مسألة أخذ وعطاء (أي أعطيك شيئاً لتعطيني شيئاً) وعلى ذلك فقد كان كلَّ إنسان كاهناً لنفسه عند التَّعامل مع الأرواح التي تؤثر على منزله ومزرعته أي آلهة المنزل التي كانت ترعى الخزانة»[2].

«وما كان يُقدَّمُ للروح فهو تضحية كحيوان أو جزء منه أو ما تقدِّمه من اللبن أو عسل النَّحل أو الجبن، وكانت قيمة كلٌّ منها تتوقف على مقدار النَّعمة المتوقعة، وفي الغالب لم تكن التّضحية تكتمل إلاَّ بعد أنْ يقدِّمَ الإله الخدمة المنشودة»[3].

وكان من أهم الأرواح التي عبدها الرُّومانيون أرواح الموتى، وكانوا يُطلقون على الموتى اسم الآلهة (مانيس)[4]، وكانوا يقومون بالطُّقوس من أجل إرضائها واتقاء شرِّها[5].

لقد كانت هناك آلهة أخرة كثيرة لدى الرُّومان حتى قيل «لا يعرف دين قط يبلغ فيه عدد الآلهة ما بلغه عند الرُّمان، ولقد قدرها البعضُ بثلاثين ألفاً»[6]؛ منها الإلهة "فستا" إلهة الموقد أو النَّار، والآلهة "بناتيس" وهم حفظة خزانة الطَّعام و "لاريس" وهم حرَّاس المنزل وغيرهم كثير[7]، وكانوا يقومون لهذه الآلهة بكثير من الطُّقوس[8].

وكانت الدَّولة الرُّومانيَّة ترعى هذه الآلهة «وكانت تخشى من عدم إرضائها، والتزمت دائماً بعدم إغضابها، بل باستشارتها قبل اتخاذ أيَّ عملٍ لأنَّ هدف الرُّومان كان دائماً هو السَّلام مع الآلهة. ومن ثمَّ فإنَّ دوراً استشارياً كبيراً بالنّسبة للدولة بل وللمواطن الرُّوماني العادي الذي كان يتمسك بالدِّين، ويؤمن بالفأل وتتحكم فيه الغيبيات الدِّينيَّة»[9].

ونتيجة لالتزام الدَّولة بإرضاء الآلهة وعدم إغضابها والعمل بمشورتها اعتبرت الدِّيانة الرَّسميَّة فرعاً من فروع الإدارة مهمته تنظيم العلاقات بين مجموعة من المواطنين والآلهة الرَّاعية. وقد أسند هذا الفرع إلى مجلس من الكهنة برئاسة الكاهن الأعظم ووضعت مهمَّة استطلاع مشيئة الآلهة في يد مجلس العارَّافين[10]. ولأجل هذا وضعت الدَّولة الرُّومانيَّة نظماً كهنوتيَّة لهذه الآلهة، يرأسها الكاهن الأعظم، ووزعت السُّلطة الدِّينيَّة على أربع جماعات عليا[11]. هي:

---

[1] – وِل وايريل ديورانت: **قصة الحضارة**، المرجع السَّابق، **مج.3، ج.1**، ص.124.

[2] – دونالد ر.ددلي: **حضارة روما**، المرجع السَّابق، ص.24.

[3] – المرجع نفسه.

[4] – فوستيل دي كولانج: **المدينة العتيقة**، المرجع السَّابق، ص.22.

[5] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.180.

[6] – وِل وايريل ديورانت: **قصة الحضارة**، المرجع السَّابق، **مج.3، ج.1**، ص.125.

[7] – ر. هـ. بارو: **الرُّومان**، تر: عبد الرَّزَّاق يسري، **ط.1**، دار نهضة مصر، القاهرة، 1968م، ص.8. **وينظر أيضاً**: ديورانت: المرجع السَّابق، **مج.3، ج.1**، ص.122.

[8] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.181.

[9] – سيد أحمد النَّاصري: **تاريخ وحضارة الرُّومان. من ظهور القرية حتى سقوط الجمهوريَّة**، **ط.2**، دار النَّهضة العربيَّة، القاهرة، 1982م، ص.109.

[10] – عبد اللطيف أحمد علي: **التَّاريخ الرُّوماني. عصر الثَّورة**، **ط.2**، دار النَّهضة العربيَّة، القاهرة، 1988م، ص.87.

[11] – المرجع نفسه، ص.203 – 204.

1 – 1 – مجلس العرَّافين (أو مفسرو حركات الطَّير وقارئو الطَّالع): من ثلاثة(3) أصبحوا ستة عشر(16)، وكانت الدَّولة تستشير هذا المجلس قبل اتخاذ أيَّ قرارٍ، وكان من حقِّ العرافين معارضة أيَّ قرارٍ بحجة سوء الطَّالع، ولهذا سعى الكثير من السِّياسيين إلى الدُّخول فيه لأنَّه يتحكم في القرارات السِّياسيَّة فضلاً عن أنَّها وظيفة كانت تشغل مدى الحياة، ولهذا كان جهاز العرَّافين من أهم الأجهزة الدِّينيَّة في الدَّولة الرُّومانيَّة[1].

1 – 2 – مجلس الكهنة (أو جماعة الكهنة): تزايد عدد هذه الهيئة حتى وصل إلى ستَّة عشرة(16) فرداً من العامة والأشراف، وهي أهمُّ هيئة أوكل إليها مهمَّة الإشراف ومراقبة وإدارة الشَّعائر الدِّينيَّة و وضع اللوائح والقواعد لها، وإرضاء الآلهة من أجل خيرُ الفرد وخيرُ الدَّولة، ويترأس هذا المجلس الكاهن الأعظم، وأهم أدواره هو التَّحكم في تحديد مواعيد الأعياد وأيام الحلال وأيام الحرام والإشراف على التَّقويم[2].

1 – 3 – كهنة الولائم: مهمتهم هي الإشراف على الولائم والاحتفالات الخاصة بها نيابة عن الكاهن الأعظم، وكان عدد هذه الهيئة سبعة(7)[3].

1 – 4 – كهنة حماية وتفسير الكتب المقدَّسة: عددهم خمسة عشر(15) عضوًا، يشتغلون هذه الوظيفة مدى الحياة، مهمتهم حماية الكتب المقدَّسة، وتفسير نصوصها ولا سيما "كتب النُّبوءات السِّبيليَّة – Libri Sibyllini"[4].

هذا إلى جانب أنَّها خاصة بالمراسم الدِّينيَّة الخاصة بالآلهة الأجنبيَّة المعترف بها أو المسموح بعبادتها في روما[5].

هذه هي الأجهزة الدِّينيَّة الأربعة الكبرى، ولما أدخلت عبادة الأباطرة ضمن العبادات الرَّسميَّة الدِّينيَّة في روما أضيفت لها هيئة خامسة، وهي هيئة عبادة الأباطرة[6].

2)– ديانة الرُّومان بعد اختلاطهم بالآلهة اليونانيَّة والشَّرقيَّة (أو الآلهة اليونانيَّة والشَّرقيَّة في صورتها الرَّومانيَّة):

لقد كان الشَّعب الرُّوماني أرضاً خصبة لتقبل أدياناً أخرى، فكلما احتكوا بقوم أخذوا ديانتهم وعبدوها مع آلهتهم تارة، وأضفوا عليها الطَّابع الرُّوماني تارة أخرى، «فلم يكن الرَّجل الرُّوماني متعصباً بل كان في العادة راضياً أنْ يترك ديانته ليعبد أخرى»[7]. وبناء عليه يمكن القول أنَّ أحد خصائص الرُّومان الدِّينيَّة هي «قابليتهم التي لا نظير لها في الشُّعوب القديمة حيال الآلهة الأجانب، فقد كانوا مستعدين لكلِّ تقارب معتمدين دون صعوبة على ما أسموه "بالتَّأويل الرُّوماني" أي اكتشاف إله يعرفونه ويعبدونه في الإله الأجنبي»[8].

وقد اتصل الرُّومان باليونانيين منذ زمن مبكر، بسبب عيش بعض القبائل اليونانيَّة مع الرُّومان، وبعد إخضاع إيطاليا

---

[1] – سيد أحمد النَّاصري: **تاريخ وحضارة الرُّومان**.، المرجع السَّابق، ص.110.

[2] – المرجع نفسه، ص.110 – 111.

[3] – نفسه، ص.111.

[4] – الكتب السِّبيليَّة هي الكتب التي سجَّلت نبؤات الإلهة (سيبيل) أو كاهنة "أيلون"، وهي إلهة سوريا انتقلت إلى روما. **ينظر**: أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.183.

[5] – عبد اللطيف أحمد علي: **التَّاريخ الرُّوماني. عصر الثَّورة**، المرجع السَّابق، ص.203.

[6] – سيد أحمد النَّاصري: المرجع السَّابق، ص.112.

[7] – ج. و. دف: **تاريخ الأدب الرُّوماني**، تر: مُحمَّد سليم سالم، مرا: مُحمَّد صقر خفاجة، **ج.1، ط.1**، مركز كتب الشَّرق الأوسط، القاهرة، 1963م، ص.67.

[8] – أندريه إيمار و جانين أوبوايه: **تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطورياتها)**، تر: فريد. م. داغر و فؤاد. ج. أبو ريحان، **مج.2، ط.1**، منشورات عويدات، بيروت، 1964م، ص.201.

وبلاد الإغريق وغيرها من بلدان البحر المتوسط لسلطة روما، أخذت الثَّقافة اليونانيَّة تسري في نفوس الرُّومان، وتتغلغل في قلوبهم حتى قيل: «وإنْ كانت روما قهرت الإغريق فإنَّ حضارة الإغريق قد قهرت الرُّومان وصبغتهم بصبغتها»[1]، وعلى ذلك فإنَّ الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة يونانيَّة لا إيطاليَّة[2].

وفي الفترة الأولى من اللقاء بين الرُّومان والإغريق أخذ الرُّومان منهم عقائدهم الدِّينيَّة وخاصة الآلهة الأوليمبيَّة «فقد نقل الرُّومان هذه الآلهة بكلِّ أسرارها وطقوسها وخلعوا عليها أسماء رومانيَّة بل إنَّ بعضاً منها ظلَّ يحمل اسمها الإغريقي»[3]. وهذه قائمة بأسماء رومانيَّة للآلهة الأوليمبيَّة الإغريقيَّة.

الرَّقم	الإله باسم يوناني	الإله باسم روماني	الرَّقم	الإله باسم يوناني	الإله باسم روماني
01	زيوس	جوبيتير[4]	**02**	هيرا	جونو
03	بوسيدون	نبتونوس	**04**	هيفايستوس	فولكانوس
05	أبو للون	فوبيوس أبو للون	**06**	أرتميس	ديانا
07	آريس	مارس	**08**	هرميس	مركوريويس
09	أثينا	مينيرفا	**10**	أفروديتي	فينوس
11	هستيا	فستا	**12**	هاديس	بلوتون[5]

كذلك انتقلت الدِّيانات السِّريَّة اليونانيَّة إلى الرُّومانيين. كما انتقلت عبادة "ديونيسوس" باسم (باخوس) و (أرفيوس) إلى الرُّومانيين بالطُّقوس المصاحبة لهما في بداية القرن الثَّاني قبل الميلاد عن طريق المدن اليونانيَّة الواقعة جنوب إيطاليا. وقد وجد العلماء بعض اللوحات الرُّومانيَّة ترجع إلى السَّنوات الأولى قبل الميلاد وهي تمثِّلُ "باخوس"[6].

كما وجدت الدِّيانات الشَّرقيَّة قد وجدت طريقها إلى قلوب وعقول اليونانيين بعد فتوحات "الإسكندر الأكبر"، فقد تأثَّروا بها وأدخلوها في نظام عبادتهم، بل ومزجوا ديانتهم بها، وقد نقل الرُّومان عن اليونانيين هذه الأديان ثمَّ زادوا عليها بعد اتصالهم بالبلاد الشَّرقيَّة[7].

---

[1] – مُحمَّد عبد الرَّحيم مصطفى و عبد العزيز المبارك: **تاريخ مصر القديم**، **ط.1**، وزارة المعارف العموميَّة، القاهرة، 1952م، ص.238.

[2] – جامعة أكسفورد: **كتاب ما خلفته اليونان**، تر: لجنة التَّأليف والتَّرجمة والنَّشر، مُرا: أحمد فريد و مُحمَّد علي مصطفى، **ط.1**، وزارة المعارف العموميَّة، القاهرة، 1929م، ص.33.

[3] – رأفت عبد الحميد: **الدَّولة والكنيسة**، **ج.2**، **ط.2**، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص.11.

[4] – كان للرُّومان أكثر من إله يسمى (جوبيتير)فقد حمل هذا الإسم آلهة سياسيين مثل: إله المدينة الأعظم الذي أقام له الملوك الأتروسك معبداً على الكابيتول وإله اتحاد المدن المدن اللاتينيَّة (لاتيار) أو (لاتيال) الذي كان له معبد الجبل الأوليمي. **ينظر**: أندريه إيمار و جانين أوبوايه: **تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطورياتها)**، المرجع السَّابق، **مج.2**، ص.200.

[5] – مُحمَّد صقر و عبد اللطيف أحمد علي: **أساطير اليونان**، المرجع السَّابق، ص.57.

[6] – دونالد ر.ددلي: **حضارة روما**، المرجع السَّابق، ص.180 – 181.

[7] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.186.

ثالثاً– أسباب انتشار الأديان الشَّرقيَّة بين الرُّمانيين:

ترجع الأسباب إلى التَّالي:

١)– كثرة الاختلاط بين الرُّمان والشَّرقيين، بسبب غزو الرُّومانيين للبلاد الشَّرقيَّة، مما أدى إلى كثرة اللقاءات، زيادة على ذلك وجود أنواع التَّبادل التِّجاري ودبوب حركة الحياة بين الرُّومان وهذه الأمم، كان له أثر كبير في الاحتكاك، كما ساعد على هذا الأمر سهولة المواصلات، وحركة التَّنقل الحرَّة داخل الإمبراطوريَّة الواسعة، وتأمين الطُّرق البريَّة والبحريَّة؛ فهاجرت الفئات البلاد الشَّرقيَّة إلى البلاد الرُّومانيَّة، وبالعكس، والتقى الرُّومانيون بالشَّرقيين في البلاد الرُّومانيَّة والبلاد الشَّرقيَّة، ونتيجة لهذا الاحتكاك المباشر اطلع الرُّومانيون على الدِّيانات الشَّرقيَّة فأعجبوا بها واعتنقوها وأدخلوها في ديانتهم، وذلك لأنَّهم وجدوا فيها ما لم يجدوه في ديانتهم الموروثة وغير الموروثة[1].

يقول "بارو": «إنَّ العبادات الأجنبيَّة جلبها إلى "روما" توسع الإمبراطوريَّة وقدوم الأجانب إلى "روما" زرافات لشؤون الصِّناعة والتِّجارة وغير ذلك من أوجه النَّشاط التي انهمكت فيه "روما" فسرعان ما اعتنقها النَّاس لأنها كانت تزودهم بشيء عاطفي تفتقر إليه الدِّيانة الرُّومانيَّة»[2].

ويقول: «إذْ إنَّ سهولة الحركة، ومختلف حاجات التِّجارة، والخدمات، والواجبات الرَّسميَّة، وما شابه ذلك جعلت النَّاس من كلِّ طبقة يرحلون لمختلف المطالب من أدنى حدود الإمبراطوريَّة إلى أقصاها، وقد كانوا ينقلون معهم دياناتهم»[3].

لهذا السَّبب وجدت العبادات الشَّرقيَّة منتشرة في جميع أجزاء الإمبراطوريَّة بين الرُّومانيين نتيجة الاختلاط والاحتكاك بين الشَّرقيين وغيرهم من سكان الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة[4].

٢)– تميُّز الدِّيانات الشَّرقيَّة بعدم التَّفرقة بين الأجناس والطَّبقات، لأنَّها كانت تقبل بين أتباعها الجميع الرِّجال والنِّساء ومنهم الأجانب والأرقاء (العبيد)، ولا تلقي بالاً إلى ما بين النَّاس من فروق في الأنساب أو الثَّراء، وكان هذا من أسباب السَّلوى لهؤلاء الأتباع، وقد بُنيت هياكلها بحيث تتسع لكلِّ من يؤمها من الخلائق[5]، بينما كانت بعض الأديان اليونانيَّة القديمة أرستقراطيَّة بحيث لا تُقبل إلاَّ الأشراف وذوي الأنساب[6].

٣)– الأديان الشَّرقيَّة كان لها عميق الأثر في قلوب وخيال النَّاس على اخلاف طبقاتهم، لأنها كانت تعد الجميع بالخلود في الحياة الآخرة، وكانت توفِّرُ لكلِّ النَّاس مهما بلغ من وضاعة المركز، وضعف الإدراك[7]، ما يسمَّى بنعمة بنعمة التَّطهير من الآثام، والأمل في حياة أبديَّة خالدة، وذلك في الوقت الذي عجزت فيه الفلسفة عن تحقيق هذه الأبديَّة وتلك الآمال[8].

---

[1] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.187.

[2] – ر. هـ. بارو: **الرُّومان**، المرجع السَّابق، ص.147.

[3] – نفسه، ص.152.

[4] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.188.

[5] – وِل وايريل ديورانت: **قصة الحضارة**، المرجع السَّابق، **مج.3، ج.3**، ص.153.

[6] – نفسه، **مج.2، ج.3**، ص.23.

[7] – هـ. أ. ل. فيشر: **تاريخ أوروبا في العصور القديمة**، تر: إبراهيم نصحي و مُحمَّد عواد حسين، **ط.1**، دار المعارف، القاهرة، 1950م، ص.135.

[8] – وِل وايريل ديورانت: **قصة الحضارة**، المرجع السَّابق، **مج.3، ج.3**، ص.146.

لقد وجد الرُّومانيون في الأديان الشَّرقيَّة هذه الحاجة الرُّوحيَّة التي افتقدوها في ديانتهم ذلك «أنَّ الدِّيانة الرُّومانيَّة لم تكن تُقدِّمُ القليل مما يستهوي النَّاس من الوجهة العاطفيَّة أو يبث فيها القوَّة الرُّوحيَّة أو يفسِّرُ لهم الحياة ومشاكلها العاجلة»[1]. فلم تشبع رغبتهم ولم تُهدئ من قلقهم الرُّوحي.

أمَّا الأديان الشَّرقيَّة فقد وجدوا فيها الملاذ والملجأ فهي تهدئ من روعهم، وتعدهم بالخلاص، والنَّجاة، حيث تعلم أنَّ هناك عالماً آخراً غير هذا العالم يجد الإنسان فيه الحياة الخالدة، كما أنَّها تَعِدُ المريدين والدَّاخلين فيها بالسَّعادة الأبديَّة في هذه الحياة بعد التَّطهير من الآثام، ثمَّ القيام ببعض الطُّقوس، التي كان كلُّ الدَّاخلين في هذه الأديان يلتزمون القيام بها لذلك وجدنا اتجاه الرُّومانيين إلى الأديان الشَّرقيَّة أكثر من غيرها، ونتيجة لما كان يكتنف هذه الأديان من سريَّة في الطُّقوس أطلق عليها الأديان السِّريَّة[2].

رابعاً– نماذج لمعبودات شرقيَّة في الدِّيانة الرُّومانيَّة:

من بين المعبودات الشَّرقيَّة العديدة هناك ثلاث منها حظيت باهتمام كبير من جانب الرُّومانيين على المستويين الشَّعبي والرَّسمي، هم:

١)– عبادة الأم العظمى (سيبيل): التي جاءتهم من "بسينس" في "فريجيا" – وهي الجزء الغربي من الهضبة الوسطى في آسيا الصُّغرى – إلى "روما"، وقد أشرك معها في العبادة قرينها (أتيس)، وانتشرت عبادتها سريعاً بين سكَّان "روما" و "إيطاليا" وكثير من مدن الولايات في "ليديا" و "فريجيا" و "إفريقيا"[3].

٢)– عبادة (إيزيس) المصريَّة: وقد انتشرت عبادة هذه الآلهة بين جميع شعوب البحر المتوسط، حيث انتقلت عبادة الإلهة من "مصر" إلى بلاد "اليونان" في القرن الرَّابع (4) ق.م، ثمَّ انتقلت إلى "صقليَّة" في القرن الثَّالث (3) ق.م، وإلى "إيطاليا" في القرن الثَّاني (2) ق.م، ثمَّ انتشرت بعدئذ في جميع أجزاء الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة، وقد عُثر على صورها المقدَّسة على ضفاف نهر "الدَّانوب" و"السِّين"، وكُشف عن آثارِ معبد لها في "لندن"[4].

٣)– عبادة (مثرا) الفارسي: وقد عُرف (مثرا) بأنَّه إله الشَّمس ثمَّ ظهر في "روما" على «أنَّه الشَّمس التي لا تقهر»، وقد لاقت عبادته رواجاً كبيراً بين الرُّومانيين وخاصة الجنود العسكريين[5].

وقد انتقل إلى الرُّومان عبادة الأباطرة التي كانت موجودة عند الفراعنة، والتي لم يتقبلها الشَّعب الرُّوماني إلاَّ بعد تردُّدٍ كبير[6].

---

[1] – ر. هـ. بارو: **الرُّومان**، المرجع السَّابق، ص.146.

[2] – أحمد علي عجيبة: المرجع السَّابق، ص.189.

[3] – ول وايريل ديورانت: المرجع السَّابق، **مج.3، ج.3**، ص.147.

[4] – نفسه، ص.148.

[5] – رأفت عبد الحميد: **الدَّولة والكنيسة**، المرجع السَّابق، **ج.2**، ص.17. **وينظر أيضاً**: فيليب حتى: **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، تر: جورج حدَّاد و عبد الكريم رافق، مُرا: جبرائل جبور، **ج.1، ط.3**، دار الثقافة بيروت، 1982م، ص.369.

[6] – رالف لنتون: **شجرة الحضارة (قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التَّاريخ)**، المرجع السَّابق، **ج.2**، ص.330.

خامساً– خلاصة واستنتاجات:

بعد هذه الإطلالة توصلنا إلى التَّالي:

- أنَّ الرَّومان مثلهم مثل غيرهم من الشَّعوب القديمة عبدوا قوى الطَّبيعة والأرواح.
- أنَّ الرُّومان كانوا من أكثر الشُّعوب القديمة قبولاً لديانات الغير، فقد عبدوا آلهة كثيرة في وقت واحد، وكانوا كلَّما اتصلوا بقومٍ أخذوا آلهتهم وعبدوها تحت أيَّ صيغة، فانتشرت بينهم الدِّيانات اليونانيَّة الأوليمبيَّة والسِّريَّة، وعندما اتصلوا بالبلاد الشَّرقيَّة عن طريق الفتوحات راقت ديانات الشَّرقيين في أعينهم، فاعتنقوها وتعبَّدوا بها وأخذوا يقدمون لها الطُّقوس والقرابين.